

ما هو الكساد؟



ستيجن كلايسنس وم. أيهان كوزي

Stijn Claessens and M. Ayhan Kose

على

مدى أكثر من عام، لم يمر بالكاد يوم لم نسمع فيه أنباء اقتصادية كئيبة حول الولايات المتحدة أو أوروبا أو اليابان. فالبطالة أخذت في الارتفاع وأرباح الشركات أخذت في الانخفاض، وطفقت الأسواق المالية تتعثر وقطاع السكان ينهار. فهل هناك كلمة واحدة تصف هذه التطورات؟ نعم: «الكساد».

لقد اصطلحت الأزمة المالية العالمية الجارية بالكساد في العديد من البلدان. ويتسق هذا النمط مع السجل التاريخي. فقد حدثت حالات الكساد المتزامنة في الاقتصادات المتقدمة عدة مرات في العقود الأربعة السابقة- في أواسط أعوام السبعينيات وأوائل أعوام الثمانينيات وأوائل أعوام التسعينيات من القرن الماضي وأوائل أعوام القرن الحالي. ونظرا لأن الولايات المتحدة هي أكبر اقتصاد في العالم ولديها علاقات تجارية ومالية قوية مع العديد من الاقتصادات الأخرى، تتزامن أحداث الركود المتزامنة عالميا هذه أيضا مع حالات كساد في الولايات المتحدة. وعلى الرغم من أن حالات الكساد في الولايات المتحدة، أصبحت أكثر اعتدالا على مر الزمن، إلا أن الكساد الراهن يرجح أن يغير هذا الاتجاه. لقد مر عليه الآن ستة عشر شهرا بالفعل- مع تراجع حاد في الاستهلاك والاستثمار- ويمكن أن يصبح واحدا من أطول وأعمق حالات الكساد منذ الكساد الكبير في سنوات الثلاثينيات.

إطلاق مسمى الركود

ليس هناك تعريف رسمي للكساد، ولكن هناك اعتراف عام بأن المصطلح يشير إلى فترة من التراجع في النشاط الاقتصادي. والفترات القصيرة جدا من التراجع لا تعتبر حالات كساد. ويستخدم أغلب المعلقين والمحللين، كتعريف عملي للكساد، ربعي سنة متواليين من التراجع في الناتج المحلي الإجمالي لبلد ما (التصحيح لمراعاة التضخم)- أي قيمة كل السلع والخدمات التي ينتجها هذا البلد (انظر «عودة للأساسيات» في عدد ديسمبر من مجلة التمويل والتنمية). وعلى الرغم من أن هذا المصطلح هو حكم مبنى على التجربة إلا أن به بعض المثالب. ذلك أن التركيز على الناتج المحلي الإجمالي فقط نظرة ضيقة ومن الأفضل عادة أخذ مجموعة أوسع من المقاييس للنشاط الاقتصادي في الاعتبار لتقرير ما إذا كان بلد ما يعاني فعلا من كساد. واستخدام مؤشرات أخرى يمكن أن يوفر أيضا مقياسا أكثر ملائمة للوقت لحالة الاقتصاد.

ويستخدم المكتب القومي للبحوث الاقتصادية، وهو منظمة خاصة للأبحاث

تحتفظ بسجل زمني لتواريخ بداية ونهاية حالات الكساد في الولايات المتحدة، مصطلحا أوسع ويأخذ في اعتباره عددا من مقاييس النشاط ليحدد تواريخ حالات الكساد. وتعرف «لجنة تحديد تواريخ دورات الأعمال» التابعة لهذا المكتب، الكساد على أنه تراجع كبير في النشاط الاقتصادي ينتشر في أرجاء الاقتصاد، ويستمر أكثر من شهر قليلة، ويظهر في العادة في الإنتاج، والتوظيف، والدخل الحقيقي، ومؤشرات أخرى. ويبدأ الكساد عندما يصل الاقتصاد إلى ذروة النشاط وينتهي عندما يصل الاقتصاد إلى النقطة الدنيا في دورته. وبالتوافق مع هذا المصطلح، تركز اللجنة على مجموعة شاملة من المقاييس - لا تتضمن فقط الناتج المحلي الإجمالي بل أيضا التوظيف، والدخل، والمبيعات، والإنتاج الصناعي وذلك لتحليل الاتجاهات في النشاط الاقتصادي.

وعلى الرغم من أن الاقتصاد قد يظهر بعض علامات الضعف على مدى شهرين قبل أن يبدأ الكساد، إلا أن عملية تحديد ما إذا كان بلد ما يعاني كساد حقيقي (أم لا)، كثيرا ما تستغرق وقتا. فعلى سبيل المثال، احتاجت لجنة المكتب القومي للبحوث الاقتصادية إلى عام حتى تستطيع الإعلان أن الكساد الحالي في الولايات المتحدة بدأ في ديسمبر ٢٠٠٧. وهذا أمر يمكن فهمه لأن عملية اتخاذ القرار تتضمن إثبات تراجع كبير في النشاط الاقتصادي على مدى فترة ممتدة من الوقت بعد جمع وتنقية متغيرات عديدة، وهو ما يخضع في كثير من الأحيان للمراجعة بعد الإعلان عنه للمرة الأولى. وبالإضافة إلى ذلك، قد تكشف درجات مختلفة من النشاط عن سلوك متضارب مما يجعل من الصعب تحديد ما إذا كان بلد ما يعاني حقيقة من تراجع واسع القاعدة في النشاط الاقتصادي.

لماذا يحدث الكساد؟

كان فهم مصادر الكساد واحدا من المجالات الثابتة في الأبحاث الاقتصادية. وهناك تشكيلة متنوعة من الأسباب التي تجعل الكساد يحدث. بعضها يرتبط بتغيرات حادة في أسعار المدخلات المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات. فعلى سبيل المثال، فإن زيادة حادة في أسعار البترول يمكن أن تكون نذيرا بكساد قادم. وإن تصبح الطاقة مكلفة، فإنها تدفع إلى أعلى مستوى الأسعار الشامل، مما يؤدي إلى تراجع في الطلب العكسي. ويمكن أيضا إطلاق العنان للكساد بقرار بلد ما بتخفيض التضخم باستخدام سياسات نقدية أو مالية انكماشية. وعندما تستخدم مثل هذه السياسات بإفراط، فإنها يمكن أن تؤدي لتراجع في الطلب على السلع والخدمات، مما ينتج عنه كساد في نهاية الأمر.

- إنها في العادة تستمر لمدة سنة تقريبا وكثيرا ما تسفر عن تكلفة كبيرة في الناتج. وبشكل خاص، يصطحب الركود عادة بتراجع يبلغ ٢ في المائة في الناتج المحلي الإجمالي (انظر الشكل). وفي حالات الكساد الحاد تقترب التكلفة النمطية في الناتج من ٥ في المائة.
- والانخفاض في الاستهلاك صغير في الأغلب، إلا أن كل من الإنتاج والاستثمار يسجلان تراجعا أكبر كثيرا عنه في الناتج المحلي الإجمالي.
- إنها تتداخل نمطيا مع انخفاض التجارة الدولية حيث تتناقص الصادرات، والواردات بصفة خاصة بشكل حاد أثناء فترات التباطؤ.
- ويقفز معدل البطالة بصورة دائمة تقريبا وينخفض التضخم قليلا لأن الطلب الكلي على السلع والخدمات يقلص. وإلى جانب تأكل قيمة المساكن والأسهم، تميل حالات الكساد لأن تكون مرتبطة باضطراب في الأسواق المالية.

الكساد مكلف

تتسم حالات الكساد بتراجع كبير في الناتج (إجمالي الناتج المحلي الحقيقي)، وفي الاستثمار والواردات والإنتاج الصناعي، بينما يكون التراجع في الاستهلاك أصغر.

ماذا عن الركود؟

الكساد الحالي في الولايات المتحدة هو الثامن الذي عانت منه البلاد منذ عام ١٩٦٠. وقد دام الكساد الأمريكي في تلك الفترة حوالي إحدى عشر شهرا، واستمر أطولها (في ١٩٧٣ و ١٩٨١) ١٦ شهرا، وبقي أقصرها ثمانية أشهر (١٩٨٠). وكان تراجع الناتج من ذروته إلى أدنى نقطة له هو ١,٧ في المائة في المتوسط، بينما أدى أسوأ كساد بمفرده (١٩٧٣) إلى خسارة في الناتج تزيد قليلا على ٣ في المائة. وعلى الرغم من أن الاستثمار والإنتاج الصناعي انخفض في كل حالات الكساد، فإن الاستهلاك سجل انخفاضا في ثلاثة منها فقط.

وأحد الأسئلة التي يتم توجيهها أحيانا هو ما وجه المقارنة بين الكساد الحالي والركود، وخاصة الكساد العظيم، في أعوام الثلاثينيات من القرن الماضي. لا يوجد تعريف رسمي للركود، ولكن أغلب المحللين يعتبرون الركود كسادا خطيرا لأقصى درجة، إذا زاد فيه التراجع في الناتج المحلي الإجمالي على ١٠ في المائة. وقد كانت هناك حفنة قليلة فقط من أحداث الركود في الاقتصادات المتقدمة منذ عام ١٩٦٠. وقد وقع أحدثها في فنلندا في أعوام التسعينيات من القرن الماضي حيث سجل تراجع الناتج المحلي الإجمالي بحوالي ١٤ في المائة. وقد تزامن ذلك الركود مع انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان شريكا تجاريا كبيرا لفنلندا. وأثناء الكساد العظيم، تقلص الاقتصاد الأمريكي بنحو ٣٠ في المائة على مدى فترة أربع سنوات. وعلى الرغم من أن الكساد الحالي شديد على نحو جلي، فإن تكلفته في الناتج حتى الآن أصغر كثيرا من تكلفة الكساد العظيم.

ستيغن كلايسنس مدير مساعد و م. أيهان كوزي خبير اقتصادي أقدم في دائرة الأبحاث في صندوق النقد الدولي.

المراجع:

Claussens, Stijn, M. Ayhan Kose, and Marco Terrones, 2008, "What Happens During Recessions, Crunches, and Busts?" IMF Working Paper 08274/ (Washington: International Monetary Fund).

—, forthcoming, "American Recessions: Domestic and Global Implications" IMF Working Paper (Washington: International Monetary Fund).

وبعض حالات الكساد، بما فيها الكساد الحالي، تمتد جذورها إلى مشاكل الأسواق المالية. وغالبا ما تتواكب الزيادات الحادة في أسعار الأصول والتوسع السريع في الائتمان كثيرا مع التراكم السريع للديون. ومع توسع الشركات والأسر أكثر من اللازم ومواجهتها لصعوبات في سداد التزامات ديونها، فإنها تقلل من استثمارها واستهلاكها، الذي يؤدي بدوره إلى إنقاص النشاط الاقتصادي. ولا تنتهي هذه الحالات من انتعاش الائتمان إلى كساد، ولكن عندما يحدث ذلك تكون حالات الكساد في كثير من الأحيان أكثر تكلفة من غيرها. والكساد يمكن أن يكون نتيجة لتراجع الطلب الخارجي، خاصة في البلدان التي لديها قطاعات تصدير قوية. والآثار الضارة للكساد في البلدان الكبرى، مثل ألمانيا واليابان والولايات المتحدة، سرعان ما يشعر بها شركاؤها التجاريون الإقليميون، خاصة أثناء حالات الكساد المتزامنة عالميا.

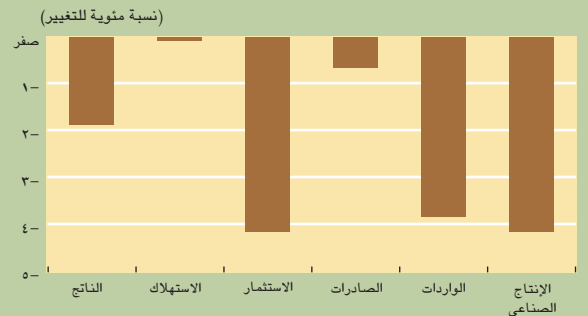
ونظرا لأن للركود أسباب محتملة عديدة، فإن التنبؤ بها يمثل تحديا. ولقد تم تسجيل أنماط السلوك بالنسبة لعدد من المتغيرات الاقتصادية التي تحيط بالكساد— بما في ذلك حجم الائتمان، وأسعار الأصول ومعدل البطالة — ولكن على الرغم من أن هذه المتغيرات قد تكون سببا للكساد، إلا أنه يمكن أن تكون أيضا نتيجة له— أو بلغة الاقتصاديين، ناشئة داخليا عن الكساد. وعلى الرغم من أن الاقتصاديين يستخدمون مجموعة كبيرة من المتغيرات للتنبؤ بسلوك النشاط الاقتصادي مستقبلا، إلا أن أيا منها لم يثبت أنه متنبئ يعتمد عليه لمعرفة ما إذا كان سيحدث كساد. ويبدو أن التغيرات في بعض المتغيرات — مثل أسعار الأصول، ومعدل البطالة، وأسعار معينة للفائدة وثقة المستهلكين — مفيدة في التنبؤ بالكساد، ولكن الاقتصاديين ما زالوا يفضلون في التنبؤ بدقة بجزء كبير من حالات الركود، ومن باب أولى التنبؤ بشدتها من حيث مدة استمرارها واتساع مداها (انظر «صورة عن قرب»، في عدد سبتمبر من مجلة «التمويل والتنمية»).

حالات الكساد نادرة ولكنها مكلفة

كانت هناك ١٢٢ حالة كساد في ٢١ اقتصاد متقدما في الفترة من ١٩٦٠-٢٠٠٧. وعلى الرغم من أن هذا يبدو كثيرا، إلا أن الكساد لا يحدث بشكل متكرر والحقيقة أن نسبة الوقت الذي يمر في كساد— إذا ما قيس بالنسبة المئوية للفصول التي كان فيها بلد ما في حالة كساد على مدى فترة العينة كاملة— بلغت في المعتاد ١٠ في المائة. وعلى الرغم من أن كل حالة كساد لها سماتها الفريدة، فإن حالات الكساد كثيرا ما تبدو عددا من السمات المشتركة.

الكساد مكلف

تتسم حالات الكساد بتراجع كبير في الناتج (إجمالي الناتج المحلي الحقيقي)، وفي الاستثمار والواردات والإنتاج الصناعي، بينما يكون التراجع في الاستهلاك أصغر^(١).



المصدر: كلايسنس، وكوزي، وتيرونس (٢٠٠٨).
(١) متوسط ١٢٢ حالة كساد في ٢١ اقتصاد متقدم حدثت في الفترة من ١٩٦٠ إلى ٢٠٠٧.